الجامعة فى النضال

من أجل التقدم الاجتماعى

للأستاذ جوستافو كولونيتى

مدير المجلس القومي للأبحاث العلمية فى روما

[مهدى إلى الفائمين على جامعتى فؤاد وفاروق]

إن الذين يشاهدون بقلق وضع أوربا المحزن ، ويتتبعون باهتمام الجهود المضنية التى تبذلها فى سبيل تجديد إنشائها وتعميرها ، ليتساءلون أحياناً عما ينقص القارة فى هذه الآونة .

وأعتقد أنه ينبغى أن نجيب دون تردد أن أهم ما تحتاج إليه أغلب أقطارنا ، إنما هو نخبة جديدة من الرجال يكون بمقدورها قيادة بلادها نحو المستقبل وفى المستقبل .

والواقع أن الطبقة الحاكمة لما قبل الحرب قد أفلست ، فقد حسبت أنها قد لبت حاجة المرء إلى الحرية ضمن نطاق الاقتصاد الحر ، ولكن هذا الاقتصاد أدى إلى مساوئ الرأسمالية الأكثر أنانية والأكثر ضلالة . وقد ظنت أنها قد لبت حاجة الجميع إلى النظام والعدالة ، ولكن ذلك لم يحصل إلا عن طريق دفاع لا هوادة فيه عن الحقوق المزعومة للطبقات المتمتعة بالامتيازات الأمر الذى أدى بصورة مذهبية إلى إعاقة التطور الطبيعى للنظام الاجتماعى نحو توزيع أعدل لخيرات الأرض . وقد خيل إليها أنها قد لبت الحاجة إلى التقدم باستخدام العلم والرقى الفنى كأدوات للقوة والجبروت ، ولكن ظهر فى الوقت المناسب أن العلم والرقى الفنى صالحان لزرع الخراب والموت فحسب

ويبدو الآن هذا الإفلاس جلياً فى ضمير جميع الشعوب ، وأن اللامبالاة التى استسلمت بها الشعوب إلى الطغاة (الديكتاتوريين) ، والتردد الخطر الذى تظهره هذه الشعوب فى محاولاتها تحقيق الرجوع إلى الأشكال الديمقراطية . كل ذلك يعطينا مقياساً عن فقدانها المطلق للثقة فى حكامها السابقين ، وعن حاجتها الماسة إلى رجال جدد . ومن واجب الجامعة تهيئة هؤلاء الرجال وتكوين النخبة الصالحة منهم .

ومن ذلك تبدو لنا المسئولية التى تقع على عاتق الجامعة لأنها لم تعرف فى الماضى كيف تخرج لنا رجالا قادرين على المعرفة والتنبؤ وتدبير الأمور . ونستنتج من ذلك ضرورة تجديد كيان الجامعة وتحملها للمهمة الثقيلة وهى قيادة الإنسانية نحو نظام جديد

وهى فى الحقيقة مهمة ثقيلة الأعباء مفعمة بالمصاعب ، ملآى بكل مجهول ، إذ لا يعنى ذلك إعادة إنشاء ما أصابه التدمير مادياً فحسب ، بل اجتناب الحكم بالتدمير من جديد وبأقرب وقت على ما سنشرع ببنائه . ومن السهل علينا تمييز أسباب الحرب ومسئولياتها ، ولكن لو ذهبنا فى تعمق الأشياء إلى أبعد من ذلك ، لرأينا وجوب التسليم بأن الحرب ما كانت إلا المظهر الخارجى الفاجع لاستحالة استمرار الإنسانية على العيش فى ظروف مادية وعلاقات متبادلة ، ثبت أن العالم قد تخطى العصر الذى وجدت فيه

ولقد تعينت معالم هذا التخطى عن طريق التقدم العلمى والرقى الفنى ، هذا التقدم الذى وضع تحت تصرف الإنسانية كمية فى تضخم مستمر من الثروة لا تستفيد منها إلا بعض الطبقات الاجتماعية

ولكن هذا الحادث لا يزال فى دور التخطيط ؛ فالتقدم العلمى والرقى الفنى سيستمران فى النمو بشكل يزداد على الدوام سرعة ووزناً فى النتائج فى كافة النواحى

ويوشك أن ينهار بنياننا الاجتماعى الذى لم يستطع مقاومة الغزوات الفنية للنصف الأول من هذا القرن ، وستقل مقاومته لصدمة الغزوات الفنية التى ستطبع بلا ريب السنوات القادمة .

ولقد أضحى التقسيم الحالى للبشرية إلى طبقات بالياً ومحكوماً عليه بالزوال وستلغيه فجأة ثورة دامية لا مثيل لها فى التاريخ ، إذا لم نعرف منذ الآن كيف نتغلب عليها بإيجاد نظام جديد تتاح فيه للناس دون ما تمييز فى الطبقات نفس الظروف للتمتع بالخيرات التى وضعها التقدم العلمى والرقى الفنى تحت تصرفنا بمقياس واسع وبشكل دائم الاستمرار

فإيجاد هذا النظام الجديد ، وصياغته بشكل يتفق واطراد الرقى الفنى إلى حد لا يستطاع تحويله كما جرى غالباً فى الماضى إلى أدوات اضطهاد فى يد فئة قليلة من أصحاب الامتيازات توجهها نحو كتل بشرية محرومة من وسائل الدفاع فاقدة الأمل والاعتراف لجميع البشر ، بحق الاقتسام العادل لخيرات الأرض وإمكانية

مساهمتهم فى التقدم المشترك والتمتع به بصورة مشتركة . هذه هى مهمة الغد العظمى النبيلة الشاقة التى لا تقبل أى تأجيل أو تسويف

وإليكم فى الوقت ذاته تحديدا للصورة الجديدة لجامعة الغد : على جامعة الغد أن تكون أول من يبادر إلى تحقيق زوال التفاوت الطبقى ، وذلك بأن تتقبل فى أحضانها كل شاب يتصف بالذكاء وحسن النية ، مهما كانت ظروف أسرته الاقتصادية والاجتماعية ومهما كانت موارده محدودة

ولقد أضحى هذا الاقتراح منذ مدة مكاناً شائعاً ، فنعثر عليه فى برامج مختلف الأحزاب السياسية فى كافة الأقطار ، ولكن علينا ألا نحسب أنه نتيجة مكتسبة ومسلم بها ، فهو على النقيض من ذلك ، نصر لا يمكن إحرازه إلا مقابل أعنف المعارك وأهولها

وفى الحقيقة إن أغلب أولئك الذين يسلمون نظرياً فى كثير من السهولة برأينا لا يقصدون سوى ازدياد قل أو كثر لكراسى الدراسة المجانية التى كان يحسب فيما مضى إمكان حل المشكلة عن طريقها

بيد أن هذه الكراسى المجانية قد أتاحت لعدد من هؤلاء الشباب الخروج بل الهرب من الطبقة العاملة ليأخذوا أمكنتهم بين الطبقة البرجوازية أو الطبقة الحاكمة

وإذا كان من العدل أن نعترف بحسن نية أولئك الذين أسسوا هذه الكراسى الدراسية رغبة منهم فى مساعدة أفضل أبناء الشعب على ارتياد مناهل العلم والتربية ، فينبغى التسليم أيضاً بأن هذه المؤسسات قد ساعدت على تعيين معالم هذا التسابق نحو إحراز شهادة تعتبر كوسيلة وحيدة لبلوغ أعلى الدرجات فى السلم الاجتماعى ، هذا التسابق الذى أفسد بصورة خطرة كل حياتنا الجامعية

فالإكثار من الكراسى الدراسية المجانية يبقى المشكلة الاجتماعية على حالها دون أن يحمل إليها حلا ، إذ ليس القصد توسيع أبواب الدخول إلى الجامعات ، بل انتخاب أولئك الذين يدعون لدخولها وانتخابهم بشكل أوسع وفى محيط اجتماعى أرحب . وهدفنا من ذلك منح إمكانيات أعلى مراتب الثقافة لكل الذين يحوزون من المواهب الفكرية ما يسمح لهم ببلوغها ولهؤلاء فقط

والغرض من ذلك فى الوقت ذاته حمل الرأى العام على تقدير كل شكل آخر من أشكال النشاط المنتج الذى لا تقل حاجة المجتمع إليه عن حاجتها إلى العلماء وتوجيه جميع الذين يعتقدون الآن بأن لهم الحق فى الدراسة لا لشىء إلا لكونهم ينتسبون إلى الطبقات المتمتعة بالامتيازات فيجعلون الجامعات مزدحمة بهم ، ليصبحوا فى المستقبل من المتخلفين عن مراتبهم Déclassés ، لا فائدة فيهم لأنفسهم ولا للآخرين ، توجيه هؤلاء نحو هذه الأشكال الأخرى وإعدادهم لها بصورة تدريجية

ولا يمكن بلوغ هذه النتيجة إلا بقلب الوضع الحالى رأساً على عقب ، وهو قلب لا تستطيع تحقيقه إلا الدولة ، وذلك بإدخال الدراسات العليا ضمن نطاق الوظائف الاجتماعية واعتبار النفقات التى تتطلبها بين تلك التى على المجتمع أن يحتمل أعباءها فى سبيل المصلحة العامة

وفى هذا المعنى ينبغى الاعتراف بأن قطراً واحداً قد اقتحم المشكلة بكل اتساعها إلى الآن ، ألا وهو الاتحاد السوفياتى

ولقد كانت التقاليد فى الأقطار الغربية حائلا دون أى تجديد . وسنرى عما قريب ما إذا كانت هذه التقاليد التى نعتز بها بحق ، ستعرف أن تكون نقطة الانطلاق لنظام جديد يتلاءم فيه الماضى المجيد مع مقتضيات الوضع الجديد

وليس من شك فى أننا سننجح بهذا الثمن فقط فى الإبقاء على مركزنا على رأس الحركة نحو التقدم الاجتماعى وفى إنقاذ ما تبقى من حضارتنا

وينبغى أن تتجدد الجامعة لا فى انتخاب الطلاب فحسب ، بل فى جهازها الداخلى أيضاً ، وذلك لسببين اثنين يجب التسليم بهما :

أولا : لأنها لم تكافح الفاشية دائماً عند ما كان ثمة فسحة فى الوقت لمكافحتها فى المجال المذهبى terrain Doctrinal كبداً لا يتلاءم مع أى شكل من أشكال الحياة الفكرية والبحث الحر عن الحقيقة

ثانياً : لأنها بالغت فى تناسى دورها فى تكوين العقول وخلق معنى مسئولية الفكر تجاه الوقائع والتاريخ

لقد كونت الجامعة أساتذة فلقنتهم أغمض أسرار الرقى الفنى وفتحت أمامهم مسالك العلم السرية ، ولكنها أغفلت توجيه

انتباههم نحو الخير والشر للذين كان فى مقدور العلم والرقى الفنى دفعهما إلى البشر ، وإفهامهم أنهم مسئولون إلى حد ما عن هذا الخير والشر. ولقد أهملت إفهامهم أيضاً أنه ليس من حقهم التجرد وعدم المبالاة بالروابط التى تربط دراساتهم بحياة البشرية ، وتراخت عن تلقينهم أن جهودهم لا تكون نبيلة ولها ما يبررها إلا إذا كانت تتوخى عيشة أفضل للانسانية جمعاء .

فعلى الجامعة إذن أن تستعيد السيادة على نفسها . عليها أن تضع حداً للتخصص المفرط وتوسع نطاق التعليم الفنى . وعليها أن تبذل عنايتها ، لا فى تخريج علماء وقتيين فحسب ، بل فى تكوين رجال بأوسع معانى الكلمة وأجدرها بالفهم والإنسانية ، رجال لا يبحثون إلا عن الحقيقة ، ويعرفون أنه لا يمكن بلوغها إلا فى جو من الحرية

وسيتخذ النضال ضد الفاشية مكانه ضمن نطاق الحياة الجامعية فوراً وبصورة طبيعية ، لأن الفاشية إذا كانت قد انهزمت عسكرياً فتوارت عن المسرح السياسى مؤقتاً ، فإنها لا تزال تعيش بيننا ظهرانينا بشكلها المزدوج وهو الكذب وروح الشدة والاقتسار ، فينبغى الاستمرار فى مكافحتها تحت هذا الشكل المزدوج .

أما الجامعة ، فهى المكان الذى يعارض فيه الكذب بالبحث الأمين المجرد عن الحقيقة . الجامعة هى المكان الذى يمكن فيه إلحاق الهزيمة بروح الشدة والاقتسار عن طريق هذه الحرية التى يطالب بها الفكر بإلحاح كأعظم النعم الإلهية .

فعلينا إذن أن نعيد فى الجامعة ، إلى الحقيقة والحرية ، الإجلال والقدسية ، وذلك بأن نقصى عنهما كل من قاد زمامهما بالاستسلام إلى الخداع والتهديد أو التضليل

يجب المطالبة والظفر باكبار الحقيقة وتمجيدها وحتى إعلانها فى الجامعة ولا سيما حين لا تروق فى عيون ذوى السلطان فى الأرض .

يجب أن تكون الجامعة حصناً للحرية ، وعلينا أن نطالب وأن نظفر بعدم التنكر لها فى الجامعة ، وينبغى ألا نضن بالحرية إلا على أولئك الذين يرغبون فى استخدامها من أجل قتلها

وعندئذ تمسى الجامعة هيئة يصبح أعضاؤها ويشعرون شخصياً أساتذة وطلاباً أنهم مسئولون عن الشكل الذى يؤدون به رسالتهم الاجتماعية ، وسيصبحون ويشعرون أنهم أعضاء نخبة ممتازة مدعوة إلى قيادة العالم نحو مصير أفضل ، نخبة ممتازة لا تباعد فيما بين أفرادها الحدود السياسية ، وسيكون هذا أوفى الصور لهذا المجتمع الدولى الذى سيجذب وحده أوربا كوارث جديدة

وسيكون فى وسع البشر أن يصبحوا أخيراً ، فى عالم حر مفرم بالحرية ، سادة مصائرهم ، وسيكف التقدم العلمى والرقى الفنى عن ترويعنا ، ويستخدمان عندئذ لجعل الحياة أقل خشونة وجفافاً وأجدر بأن نعيشها .

ترجمة

[عن مجلة L' université] غالب عارف طوقان

إعلان

تعلن النيابة العمومية الوطنية أن لديها وظائف كتابية بالنيابات المختلفة من الدرجة الثامنة .

ويشترط فى الطالب الذى يعين فى هذه الدرجة أن يكون حاصلا على شهادة الدراسة الثانوية قسم خاص « التوجيهية » أو شهادة الدراسة الثانوية قسم عام « الثقافة » بشرط أن يقضى الطالب قبل التعيين مدة فى التمرين على الأعمال الكتابية باحدى النيابات القريبة من محل إقامته بدون مرتب .

فعلى راغبى التعيين أن يقدموا طلباتهم على الاستمارة رقم ١٦٧ ع . ح باسم حضرة صاحب العزة مدير إدارة النيابات الوطنية بباب الخلق .

٦٣٥٩